# ثم دخلت سنة تسع وستين ومائتين

## ذكر أخبار الزنج

وفي هذه السنة رُمي الموفّق بسهم في صدره، وكان سبب ذلك: أن بهبود لما هلك طمع العلوي، فيما له من الأموال، وكان قد صحّ عنده أن ملكه قد حوى مائتي ألف دينار وجوهراً وفضة، فطلب ذلك وأخذ أهله وأصحابه، فضربهم وهدم أبنيته طمعاً في المال، فلم يجد شيئاً، فكان فعله مما أفسد قلوب أصحابه عليه ودعاهم إلى الهرب منه، فأمر الموفق بالنداء بالأمان في أصحاب بهبود، فسارعوا إليه فألحقهم في العطاء بمن تقدّم/ . ج٦/٤٠/ط

ورأى الموفّق ما كان يتعذّر عليه من العبور إلى الزنج في الأوقات التي تهبّ فيها الرياح لتحرّك الأمواج، فعزم على أن يوسع لنفسه ولأصحابه موضعاً في الجانب الغربي، فأمر بقطع النخل وإصلاح المكان وأن يعمل له الخنادق والسور ليأمن البيات، وجعل حماية العمّالين فيه نوباً على قوّاده[1].

فعلم صاحب الزنج وأصحابه أن الموفّق إذا جاورهم قرب على من يريد اللحاق به المسافة مع ما يدخل قلوب أصحابه من الخوف، وانتقاض تدبيره عليه، فاهتموا بمنع الموفّق من ذلك، وبذلوا الجهد فيه، وقاتلوا أشد قتال، فاتفق أن الريح عصفت في بعض تلك الأيام وقائد من القواد هناك، فانتهز الخبيث الفرصة في إنفاذ هذا القائد وانقطاع المدد عنه، فسير إليه جميع أصحابه، فقاتلوه، فهزموه، وقتلوا كثيراً من أصحابه، ولم يجد الشذاوات التي لأصحاب الموفّق سبيلاً إلى القرب منهم خوفاً من الزنج أن تلقيها على الحجارة، فتنكسر، فغلب الزنج عليهم، وأكثروا القتل والأسر، ومن سلم منهم ألقى نفسه في الشذاوات وعبروا إلى الموفقية، فعظم ذلك على الناس.

---

(١) ذكره ابن كثيرفي «البداية والنهاية» (١١/ ٥٠) مختصراً، وذكره ابن خلدونفي «تاريخه» (٣/ ٣٩٦) مختصراً، وذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٦١٤، ٦١٥).

ونظر الموفّق فرأى أن نزوله بالجانب الغربي لا يأمن عليه حيلة الزنج وصاحبهم، وانتهاز فرصة، لكثرة الأدغال، وصعوبة المسالك وأن الزنج أعرف بتلك المضايق وأجرأ عليها من أصحابه، فترك ذلك، وجعل قصده إلى هدم سور الفاسق وتوسعة الطريق والمسالك، فأمر بهدم السور من ناحية النهر المعروف بمنكي، وباشر الحرب بنفسه واشتدّ القتال، وكثر القتل والجراح من الجانبين، ودام ذلك أياماً عدة.

وكان أصحاب الموفّق لا يستطيعون الولوج لقنطرتين كانتا في نهر منكي، كان الزنج يعبرون عليهما وقت القتال، فيأتون أصحاب الموفّق من وراء ظهورهم فينالون منهم، فعمل الحيلة في إزالتهما، فأمر أصحابه بقصدهما عند اشتغال الزنج وغفلتهم عن حراستهما، وأمرهم أن يعدوا الفؤوس والمناشير، وما يحتاجون إليه من الآلات، فقصدوا القنطرة الأولى نصف النهار، فأتاهم الزنج لمنعهم، فاقتتلوا، فانهزم الزنج، وكان مقدّمهم أبو الندى، فأصابه سهم في صدره فقتله، وقطع أصحاب الموفّق القنطرتين ورجعوا[١].

وألحّ الموفّق على الخبيث بالحرب، وهدم أصحابه من السور ما أمكنهم، ودخلوا المدينة وقاتلوا فيها، وانتهوا إلى دار ابن سمعان، وسليمان بن جامع، فهدموهما ونهبوا ما فيهما، وانتهوا إلى سويقة للخبيث، سماها: الميمونة، فهدمت وأخربت، وهدموا دار الحياتي وانتهبوا ما كان فيها من خزائن الفاسق، وتقدّموا إلى الجامع ليهدموه، فاشتد محاماة الزنج عنه، فلم يصل إليه أصحاب الموفّق؛ لأنه كان قد خلص مع الخبيث نخبة أصحابه وأرباب البصائر، فكان أحدهم يقتل، أو يجرح، فيجذبه الذي إلى جنبه ويقف مكانه[٢].

فلما رأى الموفّق ذلك أمر أبا العباس بقصد الجامع من أحد أركانه بشجعان أصحابه، وأضاف إليهم الفعول للهدم، ونصب السلاليم، ففعل ذلك.

وقاتل عليه أشد قتال، فوصلوا إليه، فهدموه، فأخذ منبره فأتي به الموفّق، ثم عاد الموفّق لهدم السور فأكثر منه، وأخذ أصحابه دواوين الخبيث وبعض خزائنه، فظهر للموفّق أمارات الفتح، فإنهم لعلى ذلك إذ وصل سهم إلى الموفّق فأصابه في صدره، رماه به رومي كان مع صاحب الزنج، اسمه: قرطاس، وذلك لخمسٍ بقين من جمادى الأولى، فستر الموفّق ذلك، وعاد إلى مدينته وبات، ثم عاد إلى الحرب على ما به من ألم الجراح

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٦١٥ ـ ٦١٧)، وذكره ابن خلدون في «تاريخه» (٣/ ٣٩٦) مختصراً.
(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٦١٧، ٦١٨).

ليشتدّ بذلك قلوب أصحابه، فزاد في علّته، وعظم أمرها، حتى خيف عليه واضطرب العسكر والرعية وخافوا، فخرج من مدينته جماعة/ . ج٦/٤١/ط

وأتاه الخبر، وهو في هذه الحال بحادث في سلطانه، فأشار عليه أصحابه وثقاته بالعود إلى بغداد ويخلف من يقوم مقامه، فأبى ذلك، وخاف أن يستقيم من حال الخبيث ما فسد، واحتجب عن الناس مدة، ثم برأ من علّته وظهر لهم، ونهض لحرب الخبيث، وكان ظهوره في شعبان من هذه السنة[1].

## ذكر إحراق قصر صاحب الزنج

لما صحّ الموفّق من جراحه عاد إلى ما كان عليه من محاربة العلوي، وكان قد أعاد بناء بعض الثلم في السور، فأمر الموفّق بهدم ذلك، وهدم ما يتّصل به، وركب في بعض العشايا، وكان القتال، ذلك اليوم، متصلاً مما يلي نهر منكي، والزنج مجتمعون فيه قد شغلوا أنفسهم بتلك الجهة، وظنوا أنهم لا يأتون إلا منها، فأتى الموفّق ومعه الفعلة، وقرب من نهر منكي وقاتلهم، فلما اشتدت الحرب أمر الذين بالشذاوات بالمسير إلى أسفل نهر أبي الخصيب، وهو فارغ من المقاتلة، والرجالة، فقدم أصحاب الموفّق، وأخرجوا الفعلة، فهدموا السور من تلك الناحية.

وصعد المقاتلة فقتلوا في النهر مقتلة عظيمة، وانتهوا إلى قصور من قصور الزنج فأحرقوها، وانتهبوا ما فيها، واستنقذوا عدداً كثيراً من النساء اللواتي كن فيها، وغنموا منها، وانصرف الموفّق، عند غروب الشمس، بالظفر والسلامة، وبكر إلى حربهم، وهدم السور، فأسرع الهدم حتى اتصل بدار الكلابي وهي متصلة بدار الخبيث، فلما أعيت الخبيث الحيل أشار عليه علي بن أبان بإجراء الماء على السباخ التي يسلكها أصحاب الموفّق لئلا يجدوا إلى سلوكها سبيلاً.

وأن يحفر خنادق في مواضع عدة يمنعهم عن دخول المدينة، ففعل ذلك، فرأى الموفّق أن يجعل قصده لطمّ الخنادق، والأنهار، والمواضع المغورة، فدام ذلك، فحامى عنه الخبثاء، ودامت الحرب، ووصل إلى الفريقين من القتل والجراح أمر عظيم، وذلك لتقارب ما بين الفريقين، فلما رأى شدة الأمر من هذه الناحية قصد لإحراق دار الخبيث،

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٦١٨، ٦١٩)، وذكره ابن خلدون في «تاريخه» (٣/ ٣٩٧) مختصراً، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١١/ ٥١) مختصراً.

والهجوم عليها من دجلة، فكان يعوق عن ذلك كثرة ما أعد الخبيث، لها من المقاتلة والحماة عن داره، فكانت الشذا إذا قربت من قصره رميت من فوق القصر بالسهام، والحجارة من المنجنيق، والمقلاع، وأذيب الرصاص وأفرغ عليهم، فتعذر إحراقها لذلك، فأمر الموفّق أن تسقف الشذا بالأخشاب، ويعمل عليها الجبس ويطلى بالأدوية التي تمنع النار من إحراقها، ففرغ منها، ورتّب فيها أنجاد أصحابه، ومن النفاطين جمعاً كثيراً[١].

واستأمن إلى الموفّق محمد بن سمعان، كاتب الخبيث، وكان أوثق أصحابه في نفسه، وكان سبب استئمانه أن الخبيث أطلعه على أنه عازم على الخلاص وحده بغير أهل ولا مال، فلما رأى ذلك من عزمه أرسل يطلب الأمان، فأمنه الموفّق وأحسن إليه، وقيل: كان سبب خروجه أنه كان كارهاً لصحبة الخبيث مطلعاً على كفره وسوء باطنه ولم يمكنه التخلص منه إلا الآن، ففارقه وكان خروجه عاشر شعبان[٢].

فلما كان الغد بكّر الموفّق إلى محاربة الخبثاء، فأمر أبا العباس بقصد دار محمد الكرنابي، وهي بإزاء دار الخبيث، وإحراقها وما يليها من منازل قوّاد الزنج، ليشغلهم بذلك عن حماية دار الخبيث، وأمر المرتبين في الشذا المطلية بقصد دار الخبيث وإحراقها، ففعلوا ذلك وألصقوا شذاواتهم بسور قصره، وحاربهم/ الفجرة أشد حرب، ونضحوهم بالنيران، فلم تعمل شيئاً، وأحرق من القصر الرواشين والأبنية الخارجة، وعملت النار فيها، وسلم الذين كانوا في الشذا مما كان الخبثاء يرسلونه عليهم بالظلال التي كانت في الشذا، وكان ذلك سبباً لتمكينهم من قصره[٣]. ج٦/٤٢/ط

وأمر الموفّق الذين في الشذا بالرجوع، فرجعوا، فأخرج من كان فيها من الغلمان ورتّب غيرهم، وانتظر إقبال المدّ وعلوه، فلما أقبل عادت الشذا إلى قصره، وأحرقوا بيوتاً منه كانت تشرّع على دجلة، وأضرمت النار فيها، واتصلت، وقويت، فأعجلت الخبيث ومن كان معه عن التوقف على شيء مما كان له من الأموال والذخائر وغير ذلك، فخرج هارباً وتركه كله.

---

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٦٢٢ ـ ٦٢٤)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٢/ ٢٢٤) مختصراً، وذكره ابن خلدون في «تاريخه» (٣/ ٣٩٧) مختصراً.

(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٦٢٤)، وذكره ابن خلدون في «تاريخه» (٣/ ٣٩٧) مختصراً.

(٣) ذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٢/ ٢٢٤) مختصراً، وذكره ابن خلدون في «تاريخه» (٣/ ٣٩٧) مختصراً، وذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٦٢٤، ٦٢٥).

وعلا غلمان الموفّق قصره مع أصحابهم، فانتهبوا ما لم تأت النار عليه من الذهب، والفضة، والحلي، وغير ذلك، واستنقذوا جماعة من النساء اللواتي كان الخبيث يأنس بهن ممن كان استرقهن، ودخلوا دوره ودور ابنه أنكلاي، فأحرقوها جميعاً، وفرح الناس بذلك، وتحاربوا هم وأصحاب الخبيث على باب قصره، فكثر القتل في أصحابه، والجراح والأسر، وفعل أبو العباس في دار الكرنابي من النهب والهدم والإحراق مثل ذلك، وقطع أبو العباس يومئذٍ سلسلة عظيمة كان الخبيث قطع بها نهر أبي الخصيب ليمنع الشذا من دخوله، فحازها أبو العباس وأخذها معه، وعاد الموفّق بالناس مع المغرب مظفراً، وأصيب الفاسق في ماله ونفسه وولده، ومن كان عنده من نساء المسلمين مثل الذي أصاب المسلمين منه من الذعر والجلاء وتشتت الشمل والمصيبة، وجرح ابنه أنكلاي في بطنه جراحة أشفى منها على الهلاك[1].

## ذكر غرق نصير

وفي يوم الأحد لعشرٍ بقين من شعبان غرق أبو حمزة نصير، وهو صاحب الشذاوات، وكان سبب غرقه أن الموفّق بكر إلى القتال، وأمر نصيراً بقصد قنطرة كان الخبيث عملها في نهر أبي الخَصيب، دون الجسرين اللذين كان اتخذهما على النهر، وفرّق أصحابه من الجهات، فعجّل نصير فدخل نهر أبي الخصيب في أول المد، في عدّة من شذاواته، فحملها الماء فألصقها بالقنطرة، ودخلت عدة من شذاوات الموفّق مع غلمانه ممن لم يأمرهم بالدخول، فصكّت شذاوات نصير، وصكّ بعضها بعضاً.

ولم يبق للملاحين فيها عمل، ورأى الزنج ذلك فاجتمعوا على جانبي النهر، وألقى الملاحون أنفسهم في الماء خوفاً من الزنج، ودخل الزنج الشذاوات، فقتلوا بعض المقاتلة، وغرق أكثرهم، وصابرهم نصير حتى خاف الأسر، فقذف نفسه في الماء فغرق، وأقام الموفّق يومه يحاربهم، وينهبهم، ويحرق منازلهم، ولم يزل يومه مستعلياً عليهم، وكان سليمان بن جامع، ذلك اليوم، من أشدّ الناس قتالاً لأصحاب الموفّق، وثبت مكانه، حتى خرج عليه كمين للموفّق، فانهزم أصحابه وجرح سليمان جراحة في ساقه، وسقط لوجهه في موضع كان فيه حريق، وفيه بعض الجمر، فاحترق بعض جسده.

وحمله أصحابه بعد أن كاد يؤسر، وانصرف الموفّق سالماً ظافراً، وأصاب الموفّق

(١) ذكره ابن خلدون في «تاريخه» (٣/ ٣٩٧) مختصراً، وذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٦٢٥، ٦٢٦).

مرض المفاصل، فبقي به شهر شعبان وشهر رمضان، وأياماً من شوال، وأمسك عن حرب الزنج، ثم برأ وتماثل فأمر بإعداد آلة الحرب[١].

## ذكر إحراق قنطرة العلوي صاحب الزنج

ج٦ / ٤٣/ط ولما اشتغل الموفّق بعلّته أعاد الخبيث القنطرة التي غرق عندها نصير، وزاد فيها وأحكمها، ونصب دونها/ أدقال ساج، وألبسها الحديد، وسكر أمام ذلك سكراً من حجارة ليضيق المدخل على الشذا وتحتدّ جرية الماء في النهر، فندب الموفّق أصحابه وسير طائفة من شرقي نهر أبي الخصيب، وطائفة من غربيه، وأرسل معهما النجّارين والفعلة لقطع القنطرة وما جعل أمامها، وأمر بسفن مملوءة من القصب أن يصبّ عليها النفط، وتدخل النهر ويلقى فيها النار ليحترق الجسر، وفرّق جنده على الخبثاء ليمنعوهم عن معاونة من عند القنطرة.

فسار الناس إلى ما أمرهم به عاشر شوال، وتقدّمت الطائفتان إلى الجسر، فلقيهما أنكلاي بن الخبيث، وعلي بن أبان، وسليمان بن جامع واشتبكت الحرب، ودامت وحامى أولئك عن القنطرة لعلمهم بما عليهم في قطعها من المضرة، وأن الوصول إلى الجسرين العظيمين اللذين يأتي ذكرهما يسهل، ودامت الحرب على القنطرة إلى العصر[٢].

ثم إن غلمان الموفّق أزالوا الخبثاء عنها، وقطعها النجّارون ونقضوها وما كان عمل من الأدقال الساج، وكان قطعها قد تعذّر عليهم، فأدخلوا تلك السفن التي فيها القصب والنفط وأضرموها ناراً فوافت القنطرة، فأحرقوها، فوصل النجّارون بذلك إلى ما أرادوا، وأمكن أصحاب الشذاوات دخول النهر، فدخلوه وقتلوا الزنج حتى أجلوهم عن مواقفهم إلى الجسر الأول الذي يتلو هذه القنطرة.

وقتل من الزنج خلق كثير واستأمن بشر كثير، ووصل أصحاب الموفّق إلى الجسر المغرب، فكره أن يدركهم الليل، فأمرهم بالرجوع فرجعوا، وكتب إلى البلدان أن يقرأ على المنابر أن يؤتى المحسن على قدر إحسانه ليزدادوا جداً في حرب عدوّه، وأخرب من الغد برجين من حجارة كانوا عملوهما ليمنعوا بهما الشذاوات من الخروج من النهر إذا

(١) ذكره ابن خلدون في «تاريخه» (٣/ ٣٩٧، ٣٩٨) مختصراً، وذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٦٢٦، ٦٢٧).
(٢) ذكره ابن خلدون في «تاريخه» (٣/ ٣٩٨) مختصراً، وذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٦٢٨، ٦٢٩).

دخلته، فلما أخربهما سهل له ما أراد من دخول النهر والخروج منه[١].

## ذكر انتقال صاحب الزنج إلى الجانب الشرقي وإحراق سوقه

لما أحرقت دوره ومساكن أصحابه، ونهبت أموالهم، انتقلوا إلى الجانب الشرقي من نهر أبي الخصيب، وجمع عياله حوله، ونقل أسواقه إليه، فضعف أمره بذلك ضعفاً شديداً ظهر للناس، فامتنعوا من جلب الميرة إليه، فانقطعت عنه كل مادة، وبلغ الرطل من خبز البر عشرة دراهم، فأكلوا الشعير وأصناف الحبوب، ثم لم يزل الأمر بهم إلى أن كان أحدهم يأكل صاحبه إذا انفرد به، والقوي يأكل الضعيف، ثم أكلوا أولادهم، ورأى الموفّق أن يخرّب الجانب الشرقي كما أخرب الغربي، فأمر أصحابه بقصد دار الهمداني ومعهم الفعلة.

وكان هذا الموضع محصناً بجمع كثير، وعليه عرادات، ومنجنيقات، وقسي، فاشتبكت الحرب، وكثرت القتلى، فانتصر أصحاب الموفّق عليهم، وقتلوهم وهزموهم، وانتهوا إلى الدار فتعذّر عليهم الصعود إليها لعلو سورها، فلم تبلغه السلاليم الطوال، فرمى بعض غلمان الموفّق بكلاليب كانت معهم، فعلّقوها في أعلام الخبيث وجذبوها، فتساقطت الأعلام منكوسة، فلم يشك المقاتلة عن الدار في أن أصحاب الموفّق قد ملكوها، فانهزموا لا يلوي أحد منهم على صاحبه، فأخذها أصحاب الموفّق، وصعد النفّاطون وأحرقوها وما كان عليها من المجانيق والعرادات، ونهبوا ما كان فيها من المتاع والأثاث، وأحرقوا ما كان حولها من الدور، واستنقذوا ما كان فيها من النساء وكن عالماً كثيراً من المسلمات، فحملن إلى الموفقية، وأمر الموفّق بالإحسان إليهن.

واستأمن يومئذٍ من أصحاب الخبيث، وخاصّته الذين يلون خدمته، جماعة كثيرة، فأمنهم الموفّق، وأحسن إليهم، ودلّت جماعة من المستأمنة/ الموفّق على سوق عظيمة كانت للخبيث، متصلة بالجسر الأول، تسمى: المباركة، وأعلموه إن أحرقها لم يبق لهم سوق غيرها. ج٦/٤٤/ط

وخرج عنهم تجارهم الذين كان بهم قوّامهم، فعزم الموفّق على إحراقها وأمر

(١) ذكره ابن خلدون في «تاريخه» (٣/ ٣٩٨) مختصراً، وذكره الطبري في «تاريخه» (٩/ ٦٢٩، ٦٣٠).